مـع الأحـداث

﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ... ﴾ [هود : ١١٣]

﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ** ﴾ [الشورى : ٣٩]

﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا** ... ﴾ [آل عمران : ١٠٣]

﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ... ﴾ [الحجرات : ١٠]

﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ ﴾ [آل عمران : ١١١]

التّيار الإسلاميّ في فلسطين وسورية

من أشدّ الافتراءات كذباً وتضليلاً ما يروّجه أدعياء العمل من أجل فلسطين والمتاجرون بقضيتها ، في صــفوف أبناء فلسطين بصورة خاصة : أنّ الإسلاميّين الذين ينادون بالتغيير في كلّ مكان من الأرض العربيــة والإســلامية ، ويخوضون في سورية على وجه الخصوص معركة التغيير ، حتى تسود الحياة الإسلاميّة والحكم الإســلاميّ .. إنّمــا يلفتون الأنظار ويصرفون الجهود بعيداً عن قضية فلسطين المصيرية المشتركة !! ..

ومصدر الافتراء هو مصدر سائر الافتراءات والاتهامات من قبل : أعداء الإسلام ، وأعداء العرب والمسلمين

وغاية الافتراء هي نفسها كما كنت على الدوام : تشكيك الشباب المسلم عامّة والشباب المسلم مــن فلــسطين خاصة بحقيقة التيّار الإسلاميّ وإبعادهم عنه .. وبالتالي إبعادهم عن سلوك الطريق الوحيد الموصل إلى الهدف الأصيل الذي تخلّى عنه (علناً) أغلبية أدعياء خدمة القضية : التحرير الكامل والعودة إلى الأرض السليبة

إذا ذكّر الإسلاميّون بتاريخ فلسطين الإسلاميّ المجيد المديد .. حاول أعداء الإسلام وفلسطين بَتْرَ القــضية مــن تاريخها وتشكيك الشباب به ، لإطفاء شعلة التحرير التي يوقدها التاريخ في قلوب أبناء هذا الجيل وعلى سواعده

وإذا ذكّروا بالدماء التي روت أرض فلسطين في التاريخ المعاصر ، والجهاد الذي انفرد به الإســلاميّون في كــلّ مكان ، مرّة بعد أخرى ، وأضاع ثمراتِهِ حكّام هذه البلاد الموالون للشرق وللغرب .. مرّة بعد أخــرى ، تــضاعفت

حملات التضليل والافتراء على ألسنة دعاة العلمانية والقومية والاشتراكية وأدعياء التقدّم الحــديث في ذيــل الغــرب الاستعماريّ القديم والحديث ..

وهؤلاء المفترون المشكّكون بالإسلام وتيّاره الأصيل ، هم الذين أضاعوا فلسطين ويكرّسون ضياعها .. هــؤلاء واتجاهاتهم المنحرفة ومبادئهم المستوردة .. إذا صدقوا في ادّعائهم المتكرّر ألاّ وجود لصوت الإسلام في ساحة فلسطين ، فهم أوّل من يحمل مسؤولية ما حدث حتى الآن .. نكبة بعد نكبة ، وتراجعاً بعد تراجع ، وهم المسؤولون علــى أعين التاريخ والناس عن ترسيخ دعائم تصفية القضية هذه الأيام ، بسدّهم كلّ باب للتحرير اعتماداً على المــسلمين أنفسهم ، وفتحهم كلّ باب يوصل إلى واشنطون وموسكو والعواصم الأوروبية ، ولكن لا يوصل إلى حيفــا ويافــا وعكّا واللدّ والرملة وبيت المقدس بحال من الأحوال

وهم باتجاهاتهم الغربية والشرقية يصنعون النكبات والهزائم في فلسطين .. ويحاربون التيّار الإســلاميّ المطالــب بتحرير فلسطين ، كلّ فلسطين .. في وقت واحد

وماذا حقّقوا على ساحة فلسطين من نكبة عام ٤٨م إلى نكبة عام ٦٧م إلى نكبة (كامب ديفيد) ثمرة (نصر حرب ٧٣م) ؟ .. وهم يهيّئون اليوم لما هو أدهى وأمرّ وما هو أخطر بنتائجه على فلسطين ومــستقبلها بترســيخ الكيــان الصهيونيّ الآثم عن طريق التسوية السلمية الظالمة والصلح الجماعيّ الجاهليّ ..

ماذا حقّق هؤلاء المفترون على ساحة قضية فلسطين حتى الآن .. إلاّ الحرب بعد الحرب على (التيار الإســلاميّ) حيثما ظهر في الأرض العربية والإسلامية ؟ ..

ولكنّهم عاجزون بكلّ ما يملكون من إمكانات وأجهزة ، وكلّ ما يعتمدون عليه من قوى محلية ودولية .. وكلّ ما يمارسونه من وسائل يعفّ القلم عن وصفها .. عاجزون عن القضاء على هذا التيّار الإسلاميّ الأصيل .. فإمكاناته وقواه ووسائله أكبر وأعظم وأرسخ .. في أرض فلسطين وفي مجموع الأرض العربية والإسلامية

إنّ هذا التيّار الإسلاميّ الأصيل صادر عن عقيدة الشعب ، نابع من تاريخ الأرض ، ماضٍ بقوّة وبــصيرة علــى جسر واقع هذا الجيل إلى المستقبل المضيء بالنصر والتحرير

وما حملات المفترين على هذا التيّار الإسلاميّ الأصيل إلا لأنّهم يرون وجوده على أرض القضية كاشفاً لحقيقــة وجودهم هم ووجود تيّاراتهم الغريبة المنحرفة

لقد اعتقل في الشهور القليلة الماضية –على سبيل المثال– عشرات من الشباب والشيوخ ، والعلماء وأئمة المساجد والخطباء في الأرض المحتلة عام ٤٨م ، بِتُهَمِ حيازة السلاح ، وتدبير العمليات الفدائية ، ونشر أهداف التحرير الكامل

بالإسلام ومن أجل الإسلام في قرى فلسطين ومدنها .. واضطُهد هؤلاء الأحرار خلال الشهور الماضية علـــى الأقـــلّ أشدّ اضطهاد علنيّ ؛ سلبت حرّياتهم ، ولوحق أهلوهم ، وحوكموا المحاكمات العـــسكرية الـــسرّية ، وزجّ بهـــم في السجون .. ولا يزال تيّارهم الإسلاميّ –رغم ظروف الاحتلال– يسري من بيت إلى بيت ومن حيّ إلى حيّ داخـــل الأرض المحتلة التي لم يعد يرد ذكرها في (مشاريع السلام) على اختلاف ألوانها ورايتها وأشكالها .. يسري هذا التيّار بدرجات متفاوتة وصور عديدة ، على حسب الإمكانات المتوفرّة .. تنقل أخبارَهم أو بعض أخبارهم –مع التـــشويه ورغم التعتيم– أجهزةُ إعلام غربية ، بما يزيد على ما تنقله من تلك الأخبار (أجهزة إعلام عربية وإسلامية) خاضـــعة لتوجيه أصحاب التيّارات المنحرفة والغريبة في بلادنا

من الذي صنع هذا التيّار في قلوب شباب ولدوا بعد الاحتلال ، ونشؤوا في عهـــد ســـواد الرايـــات القوميـــة والاشتراكية والاتجاهات العلمانية الغربية والشرقية .. من الذي صنع هذا التيّار إلاّ الإسلام بإمكاناته وقواه ووســـائله الذاتية ؟ ..

من الذي جعل فتيات فلسطين وفتيانها ، وشيوخها ونساءها ، يخرجون في ذكرى يوم الأرض قبل خمسة أعـــوام بالمظاهرات والإضرابات .. هتافاتُهم إسلاميّة ، وشعاراتهم إسلاميّة ، وأهدافهم إسلاميّة ، ودماؤهم المراقة إسلاميّة .. يواجهون بصدورهم وحناجرهم العدوّ الصهيونيّ المحتلّ الغاصب ، ويكبّرون في شوارع حلحول وعلى ذرى الجليـــل وفي أرض غزّة وحول المسجد الأقصى بالنداء الأوحد الذي يوحّدهم جميعاً ، ويحيي وحده الجهاد في قلوبهم جميعـــا : الله أكبر

وخرجوا على ذلك عاماً بعد عام .. وبدأت المساعي بالظهور لتطويق تحرّكهم الـــشعبيّ ، واســـتغلال نـــضالهم العقيديّ ، واستقطاب شبابهم الخلّص .. حتى برفع شعارات إسلاميّة زائفة خالية من المضمون ، على ألسنة أصحاب الاتجاهات الأخرى المنحرفة المعادية للتيّار الإسلاميّ المفترية عليه

يجب أن يعلم شباب فلسطين المخلص ، والشباب المسلم المخلص لفلسطين في كلّ مكان .. أنّ القضية الحقيقيـــة ليست غياب صوت الإسلام وموقفه وشبابه عن ساحة القضية ، وإنّما هي محاربة الإسلام وتيّاره الأصيل ، ومحاولـــة خنقه حيث ظهر مفعوله النضاليّ ، مهما كان حجمه ومستواه وشكله .. ثمّ تجاهله إذا برز للعيان وثبت في الميـــدان رغم محاربته والكيد له

إنّ أجهزة إعلام أتباع الشرق والغرب داخل أرضنا العربية الإسلاميّة ، على استعداد لإثارة كلّ قضية اضـــطهاد كبيرة وصغيرة ، يقع ضحيتها بعض أبناء فلسطيننا الحبيبة ، والارتفاع بها إعلامياً لتكون قـــضية إنـــسانية دوليـــة .. شريطة أن يكون المنطلق فيها غير الإسلام أو تكون أسماء أصحابها غير إسلامية ، أمّا قضية النضال بروحه الإســـلاميّة

الشعبية الأصيلة .. فلا تكاد تجد في تلك الأجهزة الإعلامية وعلى ألسنة المسؤولين من ورائها ذكــراً إلاّ إذا اقتــرن بالتشويه والتزييف والتضليل ؟ ..

لماذا ؟ .. أهذا هو دليل الإخلاص (المجرّد) لقضية فلسطين كما يدّعيه (العلمانيون) ؟ ..

إذا ارتفع صوت للإسلام يعبّر عن موقف متميّز أصيل حرّ ، يواجه مؤامرات التسويات السلمية منذ وجــدت ، كما كان عليه موقف التيّار الإسلاميّ المخلص المستقلّ على الدوام .. وجد ذلك الموقف مــن المفتــرين المــضلّلين التجاهل والتعتيم على الأقلّ ، إن لم يجد التزييف والحرب العلنية .. وهم الذين ينقلون أنباء كلّ صوت يتحدّث عــن القضية ، صادراً عن أية جهة صغيرة أو كبيرة ، هامّة أو غير هامّة ، صادقة أو مخادعة ، من الشرق والغرب والشمال والجنوب في العالم كلّه ، طالما أنّ تلك الجهات تنطلق من غير الإسلام ..

لماذا ؟ .. أهذا هو دليل الإخلاص لفلسطين وأبنائها العرب المسلمين ؟ ..

ولكنّهم مخطئون وحساباتهم خاطئة ..

يحاربون التيّار الإسلاميّ في قضية فلسطين بمحاولة عزل الشعوب العربية والإسلامية عن صوت الإسلام وموقفــه وعن كلّ عمل صادر عن حركاته الإسلاميّة .. وإذا بهم يجدون أنفسهم المرّة بعد الأخرى أمام ترداد نفس الــصوت الإسلاميّ الهادر على المستوى الشعبيّ الجماهيري ..

مخطئون .. فتيّار الإسلام الأصيل هو تيّار الشعب نفسه ، لا يُخنق لأنّ الــشعوب لا تــوأد ، ولا يحاصــر لأنّ وجودهم هم بكلّ تياراتهم واتجاهاتهم غير أصيل ، وجود غريب منبوذ في هذه الأرض وعلى مستوى هذا الشعب .. والإسلامُ وحده هو صاحب الوجود الأصيل في التاريخ على تعاقب الأجيال ، وفي الحاضر على مستوى الــشعب ، وهو الذي سيبقى في المستقبل من دونهم ، وسيحرّر الأرض ، أرض فلسطين وكلّ أرض إسلامية بإذن الله

ويجب أن يعلم شباب فلسطين المخلص والشباب المسلم المخلص لفلسطين في كلّ مكان ، أنّ الذين يحاربون هذا التيّار الإسلاميّ الشعبيّ في قضية فلسطين -إذا صدروا عن الإخلاص للقضية كما يزعمون- فلا مجال أمامهم وهــم يشهدون الدليل بعد الدليل إلاّ الإقرار بأنّ هذا التيّار وحده بقوة الإسلام الذاتية في الصدور هو الذي يحرّك الجمــاهير في فلسطين وفي كلّ مكان لصالح القضية .. أمّا أن يحاربوا هذا التيّار دون سواه ، أو يتجاهلوه أو يشوّهوا صــورته وحقيقته .. فليس هذا دليلاً على عدم الإخلاص للإسلام نفسه فحسب ، وإنّما هو في نفس الوقت خدمة مباشــرة للعدوّ الصهيونيّ ، عدوّ الإسلام الأوّل .. وليس هو من جانب أصحاب التيّارات المستوردة وأتباع أصحابها في الشرق والغرب خيانة للإسلام والمسلمين فحسب .. بل هو في نفس الوقت خيانة لقضية فلسطين المصيرية بالذات

* * *

وافتراءاتهم على التيّار الإسلاميّ في سورية بالذات أنّه يلفت الأنظار ويصرف الجهود عن القضية المصيرية المشتركة في فلسطين .. تتناقض وحقيقة أنّ حربهم على الإسلام والتيّار الإسلاميّ قائمة في كلّ مكان على الإطــلاق ، كمــا تتناقض وحقيقة أنّ التيّار الإسلاميّ الأصيل في سورية هو الوحيد الذي حافظ على أصالة موقف ســورية وشــعب سورية في قضية فلسطين ، وعبّر عن هذا الموقف باستمرار .. من قبل أن يكون للحكم الاستبدادي الحاليّ وجود ومن بعد ما بدأت خيانات هذا الحكم الاستبداديّ المكشوفة لقضية فلسطين بالذات

والحرب على هذا التيّار الإسلاميّ الأصيل هي في نفس الوقت حرب على الهدف الأصيل الذي انفرد هذا التيّــار بالمحافظة عليه وعلى اتقاد شعلته في قلوب المسلمين في سورية وفي كلّ مكان .. في هذه المرحلة بالذات ، التي أصبح التخليّ عن فلسطين وقضيتها علنياً صريحاً فيها ، وشاملاً لسائر الأتباع والتائهين بين عواصم الشرق والغرب

لقد استحال خنق التيّار الإسلاميّ الشعبيّ في سورية ، واستحال منع الجماهير من التجاوب العلنيّ مع تيّار الإسلام الحرّ الأصيل وتقديم التضحيات على طريق نضاله .. فكان إلى جانب التجاهل –اللا إنسانيّ واللا أخلاقــي– تجــاه شعب سورية المناضل ، من جانب أدعياء نصرة فلسطين ، أصحاب الاتجاهات الأخرى .. كان إلى جانــب هــذا التجاهل الأقرب إلى مشاركة الحكم الدموي القائم في سورية في جرائمه أو الارتياح لها على الأقلّ ، عملٌ دائب على تشويه هذا التيّار ، ومحاولات مستمرّة لاحتوائه للانحراف بحركة نضال الشعب في اتجاه آخر لا يتفــق مــع أصــالة الإسلام وأصالة ثورته وأصالة أهدافه العزيزة الكريمة .. في سورية وفي فلسطين

ويشارك في حملات التشويه المغرضة العديد من الجهات في بلادنا العربية بصورة خاصة

إنّ الحكومات التي تقدّم الدعم للحكم الدمويّ القائم في سورية ، بحجّة أنّ سورية هي (دولة المواجهة) ، إنّمــا تدعم في النهاية إراقة الدماء .. فحكم (الأسد) ورفاقه وفرقه المسلّحة إنّما تواجه الشعب ولا تواجه العدوّ الــصهيونيّ الجاثم في الديار .. وذاك ما تعرفه سائر الحكومات المعنيّة

وإنّ الادّعاء العجيب ، بأنّ ثورة الشعب في سورية تشغل الحكم القائم عن مواجهة العدوّ الــصهيوني ، ادّعــاء يتجاهل حقيقة هذا الحكم منذ قام إلى اليوم .. فما كان انتقال قائد سلاح الطيران السوري إلى وزارة الدفاع ثمّ على الدبابات إلى سدّة الرئاسة إلاّ مرافقاً لانتقال أرض الجولان لسيطرة اليهود ، بالخيانة الثابتة على ألسنة رفاقــه قبــل خصومه ، والمعروفة اليوم لسائر الناس .. وإلاّ مرافقاً لانتقال قضية فلسطين في الساحة العربية من (قضية تحريــر) إلى (قضية تسوية) وذاك ما لا يحتاج لشاهد ودليل ، بل يحتاج إلى يقظة ضمير

وما كان أبرز (منجزات) هذا الحكم خلال أكثر من عشرة أعوام مضت .. في ساحة فلسطين المحتلّة ، بل في تلّ الزعتر ، وجبال لبنان .. ولئن كانت الضغوط والظروف (بالإضافة إلى أسلوب انتهازية الحكم الــسوري وتبديلــه

الجبهات على حسب غاياته المرحلية) تمنع كثيراً من المسؤولين عن المقاومة الفلسطينية من الكلام ، فلا أحد من أبناء فلسطين ومن عناصر المقاومة بصورة خاصة يجهل أنّ قواتها أصبحت أشبه بالمحاصرة بين القوات الإسرائيلية وميليـــشيا سعد حداد في الجنوب الدامي وبين قوات سورية المنكوبة بحكامها في الشمال والشرق

ولا عجب أن يتاجر الحكم القائم في سورية بفلسطين وقضيتها وشعبها .. فهو يتاجر أيضاً بسورية ومـــستقبلها ودماء شعبها

ولكنّ العجيب أن يرى مخلصٌ هذه التجارة بالشعب المسلم في فلسطين وسورية .. ثمّ يـــدافع عنـــها بـــدعوى (مواجهة) لا وجود لها ! ..

إنّ الثورة الإسلاميّة في سورية .. ثورة على الحكم الاستبدادي القائم بكلّ ما صنع ويصنع بسورية وفلسطين على كلّ صعيد .. وما كان الذي صنع ويصنع إلاّ الخيانة بعينها خدمةً لمآربه وشهواته وتسلّطه من البداية وحتى الآن

وإنّ الوقوف إلى جانب هذا الحكم –سيّان أين مصدره وما مبرّراته– إنّما هو وقوف إلى جانب ما ارتكب مـــن خيانات في قضية فلسطين أيضاً ، وما نفذ من مؤامرات متوالية على شعب فلسطين ، وما يهدف إليه من مشاركة في تصفية قضية فلسطين .. عندما تسنح له الفرصة ، ولن تسنح له الفرصة لذلك بإذن الله ما دام شعب سورية ثائراً عليه يمنعه من الاستمرار في خياناته ومؤامراته ويعمل على إسقاطه باستبداده واستغلاله وطائفيّته ودمويّته

* * *

يجب أن يعلم الشباب المسلم من فلسطين والشباب المخلص لقضية فلسطين من كلّ مكان :

أنّ ثورة التحرير والعودة لا يمكن أن تحقّق هدفاً أصيلاً واحداً إلاّ اعتماداً على رسوخ هذا الهدف الأصيل لـــدى الأجيال ، وإلاّ بطريق الجهاد على كلّ مستوى من المستويات لتحقيق ذلك الهدف ، وإلاّ بتعبئة الجمـــاهير في كـــلّ مكان .. القادرة على المحافظة على الهدف وسلوك طريق الجهاد

ولا يوجد سوى الإسلام وحده لهذا المنهج (الثوروي) .

فهو الذي يلزم المسلم الصادق بهدف التحرير عقيدة .. ولو تخلّى الناس كلّ الناس عن هذا الهدف ، فتخلّي المسلم عن أيّ جزء من الأرض خللٌ في العقيدة يأباه الإسلام .. وَلَكَمْ تخلّى أصحاب الاتجاهات الأخـــرى المحاربـــة لتيّـــار الإسلام عن هدف التحرير الأصيل بدرجات متفاوتة .. على حسب الظروف والمناسبات

والإسلام .. هو الذي يجعل الجهاد فرضاً عيناً على كلّ مسلم ، ويدفع إلى الجهاد المرأة والرجل والصغير والكبير على السواء .. حتى تتحررّ كلّ أرض إسلامية احتلّت ، وتعود إلى الإسلام ويعود إليها الإسلام

وهو .. هو وحده القادر على تعبئة الجماهير ، رغم الطواغيت الداخلية والخارجية ، والقادر على وضع طاقـــات الجماهير في ساحة المعركة عطاء وتضحية وفداء رغم السدود والحواجز المصطنعة بين قطع أرضها الواحدة

هو الإسلام ، كما أنزله الله ، أصيلاً حرّاً ، حيّاً ، محرّكاً ، مغيّراً وثائراً

فلا تتجاهلوا التيّار الإسلاميّ الشعبيّ الكبير في فلسطين .. إن أخلصتم لقضية فلسطين

هذا الجيل المسلم في كلّ أرض إسلاميّة

ولا تحاربوا أو تكونوا عوناً لمن يحارب التيّار الإسلاميّ الشعبيّ الكبير في ســـورية وفي كـــلّ أرض مـــن بلادنـــا الإسلاميّة .. إن أخلصتم لقضية فلسطين على الأقلّ ، أو أخلصتم لقضية هذا الجيل المسلم في كلّ أرض إسلامية

بل كونوا أنتم حملة راية الإسلام .. بدلاً من التجاهل والتساؤل : أين رايته ؟ ..

كونوا أنتم الفدائيين على طريق الإسلام بدلاً من التحامل والتساؤل : أين منظماته الفدائية ؟ ..

كونوا أنتم صوت الإسلام الحرّ العزيز .. بدلاً من التضليل والتساؤل : أين موقفه ؟ ..

ثمّ إنّ الإسلام سينتصر على كلّ حال بإذن الله .. وإنّ شعوبنا ستنتصر بالإسلام ومن أجل الإسلام بعـــون الله .. فالخاسر الخاسر هو من يقف في وجه تيّار الإسلام ، يوم يجرفه تيّار الإسلام ثمّ يوم يحاسب يوم القيامة على موقفه .. والفائز الفائز هو من يكون بكلّ وجوده في تيّار الإسلام ، يوم ينتصر الإسلام بتيّاره ، ثمّ يكون له بـــإذن الله ثـــواب الإيمان والجهاد يوم القيامة

وسنبقى بإذن الله في سائر الظروف والأوقات .. صوت فلسطين الإسلاميّ الحرّ الأصـــيل ، وصـــوت ســـورية الإسلاميّ المتميّز المستقلّ .. وسنسير بعون الله بطلائع الإسلام في فلسطين وسورية ، وفي كلّ مكان من أرضنا العربية والإسلامية على طريق العمل والجهاد ، حتى ينتصر الإسلام على كلّ عدوّ خارجيّ وداخليّ ، وحتى تتحقّق أهدافـــه الجليلة لهذا الجيل وقادم الأجيال .. في حياة التحرّر والكرامة ، والوحدة والتقدّم ، والحقّ والعدالة ..

﴿ ... **إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ [محمد : ٧]

مأســاة لبــنان

لا يكاد يمرّ شهر واحد إلاّ وتتجدّد الاشتباكات العسكرية داخل لبنان بين جبهات تتعدّد أسماؤها وتتباين تشكيلاتها باستمرار

ولا يكاد يمرّ أسبوع واحد إلاّ وتستعرض (إسرائيل) فيه بقوة السلاح الضاربة أنّها هي (سيدة الجنوب) المسيطرة وأنّ ذراعيها تمتدّ في أيّ وقت تشاء مباشرة أو عن طريق ربيبها سعد حداد لتضرب في قلب لبنان نفسه

ولا يكاد يمرّ يوم واحد إلاّ ويسقط على تراب لبنان مزيد من الضحايا ، من أبناء لبنان وأبناء فلسطين وأبناء سورية .. والخاسر في جميع ذلك على الدوام هو لبنان أولاً وفلسطين ثانياً ومجموع المنطقة العربية ثالثاً .. فكيف تنتهي هذه المأساة في لبنان ومتى ؟ ..

قيل في يوم من الأيام : إنّ تدخل القوات السورية في لبنان ثمّ مَهْرُ هذا التدخّل بخاتم جامعة الدول العربية ، كان في حقيقته لضرب (التيار اليساريّ اللبنانيّ) مع المقاومة الفلسطينية المتعاونة معه .. وإنّ دعم دول عربية أخرى لهذه الخطوة السورية كان لاتفاق في الأهداف ، فحاكم سورية الذي كان ينظر إليه كـ (حاكم معتدل بين الشرق والغرب) خشي آنذاك من قيام دولة يسارية قوية في لبنان ، تصبح مصدر خطر عليه وعلى سواه من قوى المنطقة المتفاهمة والمتحالفة مع الغرب .. فتدخّل عسكرياً وأيّدته تلك القوى

ومضت سنوات .. فإذا بالحكم القائم في سورية يفتح الأبواب بنفسه أمام مزيد من النفوذ الشيوعي الشرقيّ ، ويجعل من نفسه المحامي المدافع عن الهجمة الوحشية السوفييتية في أفغانستان ، وعن السياسة التوسّعية الدولية للسوفييت في المنطقة ويعقد معاهدة الصداقة والتعاون مع موسكو ، ويجلب الألوف بعد المئات من الخبراء العسكريين والأمنيين من المعسكر الشرقيّ ، ويقدم للسلاح السوفييتي التسهيلات العسكرية إن لم يكن القواعد البحرية والجويّة على أرض سورية

ومع هذا كلّه .. لا تزال دول عربية غربيّة الاتجاه تؤيّد وجود القوات السورية بلبنان تحت علم عربيّ .. فما هو السبب الحقيقيّ وراء ذلك ؟ ..

قيل أيضا : إنّ اقتحام سورية للحدود اللبنانية في لحظة تفوّق قوات الجبهة التقدّمية اللبنانية والفلسطينية على قوات الكتائب النصرانية اليمينية .. استهدف توجيه ضربة عسكرية للمقاومة الفلسطينية بالذات تجلّت بأبشع صورها في

مذبحة تلّ الزعتر واتخذت بُعْدَها السياسيّ والعسكريّ في حصر قوات المقاومة وخيامها بين خط بيروت–دمشق وخطّ الليطاني (الأحمر) ، عرضة للضربات المتوالية تكيلها قوات سعد حدّاد والقوات الإسرائيلية على مشهد ومسمع من (قوات الردع) المزعومة وعلى مشهد ومسمع من سائر دول المنطقة والعالم

وقيل : إنّ ضرب المقاومة كان للحيلولة دون أن يبلغ نفوذها في لبنان درجة تمكّنها من التحرّك بحرية كبيرة ، بعيداً عن تأثير السياسة السورية الرسمية ، حيث يستحيل آنذاك ضبط عملياتها تجاه العدوّ الإسرائيليّ الغاصب كما ضبطت على حدود (بقيّة دول المواجهة) ، ويستحيل بالتالي ضبط احتمالات اندلاع حرب جديدة حول فلسطين

وقيل : إنّ هذا الاتجاه السوري الرسميّ اتفق في معالمه وأهدافه مع الاتجاه السياسي العربيّ العام في قضية فلسطين.. ومع اتجاه الدول الكبرى في هذه المرحلة ، مرحلة الجهود القصوى باتجاه التصفية ، فرضي الجميع عن وجود القوات السورية في لبنان ودورها هذا ، وما يزالون راضين ما استمرّت على أداء هذا الدور

واختلفت معالم المحاور العربيّة والدولية في المنطقة خلال السنوات الماضية ، وحوصرت المقاومة الفلسطينية سياسياً بين اتجاه (كامب ديفيد) واتجاه (التسوية السلمية الشاملة المكملة لكامب ديفيد) .. بعد أن حوصرت عسكرياً بين بيروت والليطاني

ومعظم الدول العربيّة الميّالة لتسوية سلمية عاجلة ترى في الحكم السوريّ الآن عائقاً دون تحقيق التسوية ، ليس بسبب إخلاصه لقضية فلسطين ، فقد أثبت بما فيه الكفاية عدم إخلاصه بل وخيانته للقضية ما بين الجولان وتلّ الزعتر وجنيف .. ولكن بسبب عجزه الواضح عن المشاركة في التسوية السلمية في اللحظة الراهنة بالذات ، لأن أوضاعه الداخلية مهلهلة ، ومتاجرته بالقضية ضرورية لاستمرار بقائه ، فأيّة مخاطرة من قبله للإقدام على تسوية سلمية لقضية فلسطين تعني انهيار آخر ورقات المتاجرة بها للحفاظ على وجوده داخليا

ولأنّ الحكم السوريّ في الوقت الحاضر عاجز عن أن يكون إلاّ (عائقاً في وجه التسوية السلمية الجائرة) تتمسّك المقاومة الفلسطينية به وهي تعلم بخيانته المكشوفة للقضية وتذوق بنفسها مرارة ضرباته السابقة والحالية .. وكأنّها تأخذ بأهون الضررين .. بينما تعلم الدول العربيّة الأخرى التي ترى الحكم السوري حاليّاً عائقاً في وجه التسوية السلمية ، أنّه لا يوجد في الوقت الحاضر بديل عنه للقيام بالدور المناط به تجاه المقاومة الفلسطينية داخل لبنان وداخل سورية نفسها .. وتعلم أنّ خروجه من لبنان وسقوطه في سورية سيؤدي بالضرورة إلى قيام حكم إسلامي الاتجاه لا يعرف مساومة ولا متاجرة بقضية فلسطين ولا بسواها من قضايانا المصيرية

ولهذا فالدول العربيّة الأخرى –وقد أدركت أيضاً استحالة إجهاض الثورة الإسلاميّة في سورية نهائياً– تسعى لمحاولة التأثير على اتجاه الحكم البديل المتوقّع بكلّ وسيلة ممكنة ، وتقبل باستمرار وجود الحكم السوري الحاليّ في لبنان

وفي سورية على السواء .. حتى يتمّ لها -إن استطاعت- التأثير على البديل مستعينة على ذلك بكلّ قوة محلية أو دولية مناسبة

وقيل أيضا : إنّ تدخّل القوات السورية في لبنان استهدف وقف الحرب الأهلية فيه ومنع انهيار (التوازن) المزعوم بين طوائفه ، والانتقال بلبنان من مرحلة السياسة عبر فوهات البنادق والمدافع إلى مرحلة (وفاق) أو (تفاهم) على صيغة سياسية مشتركة جديدة ومقبولة عند الجميع ..

ومضت السنوات .. وازدادت القناعات اللبنانية المختلفة رسوخاً بأنّ الوجود السياسي والعسكري السوري بلبنان أصبح العقبة الأكبر في وجه كلّ محاولة للوفاق بغضّ النظر عن نوايا الساعين له ، وسواء استهدفوا الرجوع - استناداً لقوة بعض الأطراف- إلى ما كان في لبنان من أوضاع جائرة مرفوضة ، أو استهدفوا إيجاد أوضاع متوازنة جديدة معقولة

وإذا كانت العدالة في لبنان مفقودة قبل اندلاع الحرب الأهلية الأخيرة .. فهي الآن مفقودة ومعها الأمن والحرية والاستقرار الاقتصاديّ في وقت واحد كما يعلم الجميع ، ولم يعد عاقل يصدّق بأنّ الوجود السوري عامل مساعد على عودة لبنان إلى حياة طبيعية ، وإلى إقرار أسس جديدة للتعايش بين طوائفه ، بصورة تحقق بالفعل مبادئ العدالة والأمن والحريّة والاستقرار الاقتصاديّ والاجتماعيّ

ولقد تكررت في لبنان خلال السنوات الماضية ظاهرة جديرة بانتباه الجميع : إنّ قوات الحكم السوري لا تضرب فريقاً دون فريق ، وإنّما تضرب كلّ فريق تزداد قوّته في مرحلة من المراحل .. بحيث يبقى الوجود العسكري السوري هو الأقوى على الدوام

فكما وجّهت الضربات العسكرية الوحشية للمقاومة الفلسطينية وجهت الضربات لـ (الجبهة التقدمية اليسارية) المعتمدة على قوة الدروز على ساحة الاشتباكات العسكرية وعلى ساحة الاغتيالات ومعروف الاتهام الموجّه للمخابرات السورية باغتيال كمال جنبلاط ، كذلك فقد وجّهت الضربات للشيعة فترة من الزمن رافقت تهجير كثير من الفلسطينيين باتجاه منطقة (الحصار بين بيروت والليطاني) ، ثمّ أوقفت هذه الضربات على ضوء التفاهم المشبوه بين الحكم السوري والثورة الإسلاميّة في إيران ، ووجّهت الضربات حيناً من الزمن إلى الكتائب المسلّحة ثمّ كان التفاهم معها حتى ضربت الكتائب قوات حزب الأحرار .. ثمّ عادت الضربات إلى الكتائب من جديد في الآونة الأخيرة ..

فريق واحد لم تنله الضربات السورية .. هو فريق سعد حداد ومن ورائه (إسرائيل) ..

الوصف الوحيد لهذه السياسة السورية الرسمية العنيفة -وشعب سورية منها براء- هو الوصف الذي يفسّر سائر خطوات الحكم السوري منذ اقتحام لبنان إلى اليوم وهو أنّه يمارس (سياسة انتهازية نفعية) ..

إنّ استغلال ظروف لبنان وقضية فلسطين والظروف العربيّة .. كان وراء كلّ خطوة خطاها هذا الحكم في لبنان وكلّ ضربة وجّهها لسائر الأطراف اللبنانية والفلسطينية .. ولا يزال هذا الاستغلال هو الصفة الأساسية لسياسة الحكم السوري في لبنان وعلى مجموع الساحة العربيّة

ولا يجهل أحد من الأطراف اللبنانية والفلسطينية والعربية والدولية حقيقة هذه الانتهازية النفعية في السياسة السورية الرسمية ، ولكّن مواجهتها لم تنبع حتى الآن من مصلحة لبنان وفلسطين ومصلحة المنطقة العربيّة بكاملها ، وإنّما نبعت عن كلّ طرف من زاوية النظرة الضيقة إلى مصلحته هو في الدرجة الأولى .. وذلك ما سهَّل متابعة الحكم السوري لسياسته النفعية الانتهازية دون رادع

إنهاء مأساة لبنان رهن بأن تتجاوز سائر الأطراف اللبنانية والفلسطينية والعربية هذه النظرة الضيّقة أوّلا

رهن بتفكير الجميع من منطلق المصلحة العليا المشتركة بغض النظر عن اختلافات الاتجاهات ، بدلاً من منطلق المصالح الذاتية والأنانية

– طالما استمرّت الأطراف العربيّة على القبول بسيل المزيد من الدماء في لبنان ثمناً لسياساتها المحلية والدولية على حساب لبنان وفلسطين ، وخشية قيام بديل إسلاميّ أصيل عن الحكم السوري الهزيل .. فلا ينتظر من تلك الأطراف تأثير إيجابي ما على مأساة لبنان يحقن دماء أبنائه ولا يضيع حقّ أبناء فلسطين بالنضال من أجل التحرير والعودة ، وحق أبناء سورية بالنضال من أجل التحرّر والكرامة

– وطالما استمرّت أطراف لبنانية على القبول بسيل المزيد من الدماء ثمناً لرغبات كلّ منها بالانفراد في السيطرة على لبنان ، وباستمرار ربط لبنان بالغرب ربطاً أكبر من ارتباطه الطبيعيّ بالمنطقة ومصلحتها العليا .. فستبقى مأساة لبنان مستمرّة ، وسيبقى استغلالها هيّناً على يد الحكم السوري .. ممّا يدفع ثمنه أبناء تلك الأطراف اللبنانية أنفسهم مع سواهم

– وطالما استمرّت أطراف فلسطينية مستعدة للتفاهم مع الحكم السوري والتعاون معه لأسباب (تكتيكية) مؤقتة نابعة عن إدراك عجزه حالياً عن القبول بتسوية سلمية ، وعلى الرغم من جرائم هذا الحكم داخل سورية ولبنان ، وعلى حساب شعب سورية ولبنان وفلسطين معا .. فستجد نفسها يوماً ما ضحية (نفعية سياسة هذا الحكم وانتهازيته) من جديد كما حدث في الماضي ، وستعجز هذه الأطراف الفلسطينية عن فرض إرادة مقاومتها على مجموع السياسة المتبعة في المنطقة الهادفة لفرض تسوية جائرة للقضية .. فقد كان ولا يزال اعتماد ثورات التحرير الحقيقية على الشعوب مصدر قوتها الحقيقية ، وليس على الأنظمة المستبدة بالشعوب ، ولا بدّ لثورة التحرير الفلسطينية من الاعتماد على شعب سورية الثائر على الحكم الاستبدادي الانتهازي القائم ، وعلى شعب لبنان نفسه

وسائر الشعوب العربيّة لتتمكن من التعامل بلغة الشعوب ومنطق الثورة مع السياسات الفوقية المفروضة ، وحتى تتمكّن من ضرب كلّ حصار عسكري وسياسي يفرض عليها من الخارج لتوجيهها راضية أو كارهة في اتجاه تصفية القضية أو الخضوع لتصفيتها المرسومة .. وإنّها مرسومة بمعالم وخطوط واضحة ، خطّ يمتدّ من بيروت إلى دمشق ، وآخر أحمر على نهر الليطاني ، وثالث بين كامب ديفيد وجنيف .. والشعوب فقط هي التي ترفض هذه الخطوط جميعا

– وطالما بقيت أطراف عربية أخرى تفضّل بقاءها على بقاء الشعوب ، وتفاهمها مع بعضها البعض على التفاهم مع الشعوب ، وترى سلامتها رهناً بسيطرة اتجاه غربيّ أو شرقيّ في المنطقة من دون اتجاه الشعوب الإسلاميّ .. فستبقى هذه الأطراف على نزاعها المستمرّ انتظار إنهاء المآسي بتأثير منها وهذا الذي صنعته في الأصل .. سواء في ذلك مأساة لبنان أو فلسطين أو سورية .. تستهلك دماء الشعوب وطاقاتها وتهدرها هدرا

إنّ إنهاء مأساة لبنان رهن بتغلب القوى الشعبية الصادقة على نزاع الاتجاهات المسيطرة .. ورهن بتغلّب القوى المخلصة على أنانيات الاتجاهات المسيطرة ، ورهن بتغلّب القوى المتعقّلة على قوى الاستغلال والانتهازية والنفعية ..

وستنتهي مأساة لبنان كما ستنتهي مأساة فلسطين ومأساة سورية بإذن الله ، وسيعود الأمن والاستقرار وتعود العدالة والحرية وتعود سيادة الحق والقانون من جديد ، وتعود عوامل الأخوّة والتضامن بين الشعوب هي المسيّرة والموجّهة بقوة الشعوب نفسها لتحديد معالم مستقبلها .. إنّما هي فرصة أمام القوى المتعقّلة أن تتوجّه إلى الشعوب من الآن ، قبل أن يجرفها تيّار يقظةِ الشعوب على حقيقة أوضاعها وثورتِها على هذه الأوضاع

إنّ الظلم السياسي والاجتماعي والاقتصادي في لبنان لحساب طرف على طرف لا يمكن أن يدوم .. وقد أثبتت عشرات السنين الماضية استحالة دوامه

وإنّ الحكم الاستبدادي في سورية لا يمكن أن يدوم وقد أثبتت تضحيات الشعب وثورته على الاستبداد استحالة دوامه

وإنّ تصفية قضية فلسطين لا يمكن أن تتمّ وتستقرّ وقد أثبتت يقظة المسلمين في كلّ مكان استحالة تصفية القضايا المصيرية على حساب الشعوب

فمن أراد أن يربط نفسه بمستقبل المنطقة سعى من الآن للتخلّي عن الظلم والظالمين ، ولمواجهة الاستبداد والمستبدّين ، ولدعم ثورات الشعوب على الطواغيت المستغلين وللتصدّي للأعداء الخارجيين في فلسطين ومجموع المنطقة ..

ومن أراد أن ينتهي وجوده هو بنهاية المآسي القائمة وصانعيها استمر على ما هو عليه الآن من ارتباطه بهؤلاء .. حتى تنتهي المآسي وصانعوها وينتهي وجوده أيضاً بإذن الله وتنتصر إرادة الشعوب الثائرة كما وعد الله عزَّ وجلّ